الفصل الرابع

المرأة والتدخين

سيدتى : حافظى على جمالك ونضارتك وشبابك بقراءة هذا الفصل بعناية . فالجمال والدخان ضدان . وضعى نصب عينيك أن الرجل يريد أن يتنسم من ثغرك عبير الحب والحياة . لا رائحة الدخان الكريهة المنتنة .

إذا كان التدخين له كل هذا الأثر المفزع فى الرجال . فإن أثره فى المرأة أسوأ وأفظع ، فمن الثابت أن جهاز المرأة العصبى أضعف بكثير منه عند الرجل ، فهو أدق منه ، وبالتالى فهو أقل مقاومة ، وأكثر قابلية للتأثر بسموم التبغ . وقد صرَّح بذلك الدكتور « كمنيغ » ، فقال :

« إن السيدات اللّواتى يقعن فى شرك التدخين قَلّما تنجو إحداهن من اضطراب الأعصاب والأرق المزمن . فإن هذه العادة أشد ضرراً للمرأة منها للرجل ، فجهاز المرأة العصبى أضعف من جهازه ، ومزاجها أشف من مزاجه ، لذلك كثيراً ما تتشوَّه بَشرتها ويذهب رواؤها ويشحب لونها .

ولو أن النساء اندفعن فى تيار هذه العادة فإن الصحة العامة ومستقبل الأجيال سوف ينحط إلى أقصى دركات الانحطاط » .

وفضلاً عما يستتبع سوء الصحة الذى يُحدثه التبغ من زوال رونق الجمال ونضارة الشباب ، فإن للتدخين أثره المباشر على الجمال وبَشرة الإنسان . وقد قال البروفيسور « جوزيف برن » مدير أكبر دار للتجميل فى أوروبا :

« إن وجوه السيدات المدخنات تبدو عجفاء ضامرة ، وإذا تمكنت منهن هذه العادة المخيفة فإن بَشرتهن تجف وتبدو شاحبة مغبَّرة ، فتتجمع الغضون حول زوايا أفواههن ، وتتشقق شفاههن . وتتدلى وتفقد لونها الأحمر القاني . أما عيونهن فينطفىء بريقها ، وتصغر أهدابها وتتراخى » .

إن يد المرأة البضَّة التى يُعجَب بها الرجل ، ويحرك منظرها أو ملمسها لواعج الشوق عنده ، إذا ما تجمعت بين أصابعها المادة الصفراء التى يخلفها الدخان أصبحت قذرة مشوَّهة تبعث على الاشمئزاز والنفور . وإن البَشرة الناعمة النضرة إذا اكتنفتها طبقات كثيفة من الدخان ، أصبحت مغبَّرة أشبه ببشرة عمال المناجم أو (أسطوات) لآلات البخارية ، وعربات الفحم .

وإن الثغر الطيب العبير ، العذب للُمَى ، الذى يتضوع الطِيب من ثناياه ، ينقلب إلى فوهة عفنة يأنف من رائحتها الحيوان ، قبل الإنسان ، إذا عكَّرت جوه رائحة التبغ البغيض .

هذا بعض ما يتركه التدخين من أثر فى الجمال الذى هو كل ما للمرأة أو أول عدة لها . ورغم ذلك فالمسألة لا تنتهى عند هذا الحد بالنسبة للمرأة ، بل هناك ما هو أخطر وأقسى مما يتعدى المرأة نفسها إلى ذُرِّيتها ويقضى عليهم وعليها .

ففى شهور الحمل كثيراً ما يؤدى التدخين إلى الإجهاض ، فرائحة الدخان تقضى فى أحيان كثيرة على الجنين . حتى لوحظ أن بعض العاملات فى معامل الدخان كن يجهَضْنَ أو يلدن قبل الأوان . وحتى إذا أتم بعضهن شهور الحمل فهن لا يلدن إلا ذُرِّية سقيمة عليلة غالباً ما تُقْضَى وهى فى المهد ، أو تعيش عيشة الموتى بين لأحياء .

فالمرأة التى تدخن فى شهور الحمل هى امرأة مجرمة فى حق ذُرِّيتها ووطنها. فهى تورث هذه لذُرِّية الأسقام وتخلف لبلادها مشوَّهين أو متعطلين يعيشون عالة على بلادهم .

* * *

● تُرضع أولادها « د . د . ت » :

أغرب بحث علمى خرج من جامعة بنسلفانيا الأمريكية يؤكد أن الأمهات المدخنات اللاتى يُرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية يُعَرِّضن أولادهن لتناول مادة « د . د . ت » السامة . لأن هذه المادة تُستخدم فى رش أشجار الدخان المزروعة وبالتالى تنتقل هذه المادة عن طريق لبن الأم إلى الأطفال .

يقول الدكتور كورسى : « إن أمهات هذه الأيام اللّواتى يُدَخِنّ إنما يقامرن بمستقبل أطفالهن ، ويوصدن دونهم أبواب الحياة والأمل .

أما إذا تأصلت عادة التدخين وأزمنت عند المرأة فلا شك أنها تنتهى بها إلى العقم » .

* * *

● سن اليأس :

نشرت مجلة « لافست » الطبية البريطانية أخيراً دراسة لم يتطرق إليها البحث العلمى من قبل . وهى العلاقة بين التدخين وسن اليأس عند النساء . يُثبت أن المرأة المدخنة تصل إلى سن اليأس فى وقت مبكر عن غيرها .

وسن اليأس هى المرحلة التى ينقطع فيها الطمث عند المرأة . وما يصحب ذلك من ظواهر صحية مزعجة أقلها التعرض لأمراض الشريان التاجى . وقد اكتشف العلماء الذين قاموا بهذه الدراسة أن النيكوتين يؤثر على الجهاز العصبى المركزى . فيُحدث تغيرات فى إفراز الهرمونات يؤدى إلى التعجيل بظهور سن اليأس . كما يعمل على تنشيط الإفرازات الكبدية . إلى الحد الذى يجعلها تؤثر بدورها على عملية الاحتراق والبناء فى الهرمونات .

نعم .. لا يغر المرأة الصغيرة فتوتها . وقوة احتمالها فى سن الشباب . التى تؤجل ظهور أعراض التدخين . فإن نظرة منها إلى مدخن متقدم فى السن وهو يحشرج ويسعل توضح لها الصورة المخيفة القذرة التى تنتظرها بمجرد تقدمها فى السن بضع سنوات .

ليس أحرص من المرأة على الجمال والنضارة . فياعجبى كيف استطاعت المودة القذرة أن تُلهيها عن المصير المخيف الذى ينتظرها . وتُحيلها « مُدَخِّنة » بكل ما فى هذه الكلمة النابية من قذارة وسقام . لعلها الإعلانات المجرمة التى ترسم نساء المواخير والكاباريهات وفى أفواههن السجاير وتسميهن « سيدات الطبقة الراقية » هذه الإعلانات من أكبر عوامل الفتنة بهذه المودة . ومن أول أسباب انتقالها إلى سيدات البيوت المفتونات بالتقليد الأعمى [1] .

* * *

● الأجِنَّة والتدخين :

ثبت علمياً أن الجنين يشعر وهو فى رحم أُمه بكل ما يحدث فى البيئة المحيطة بالأم . وبالذات يتأثر بالملوثات التى تدخل رئة الأم . ويدفع ثمناً غالياً إبّان نموه إذا حكم عليه قدره أن ينتمى إلى أم مُدَخِّنة .

وقد أثبتت الأبحاث التى أجراها مجموعة من العلماء فى بريطانيا أن التدخين أثناء الحمل يُعَرِّض الجنين للتخلف العقلى والبدنى . فالمواد السامة الموجودة فى السجاير تؤثر عليه عن طريق تحديد نسبة الأوكسچين فى هيموجلوبين الأم . وزيادة نسبة الكربون فيه الذى قد يُحدث اختناق فى الحبل السُرِّى يحول دون وصول المواد الغذائية اللازمة لنموه .. واحتمال حدوث إجهاض أو ولادة قبل الموعد المحدَّد .

ولا ينتهى التأثير الضار على الجنين فور ولادته . فإن المواد السامة المركَّزة فى جسم الوالدة المُدَخِّنة تؤثر على لبنها وتركيبه وكميته . فتقل كمية لبن الأم ويختلط تركيبه بمخلَّفات السموم فى جسدها . فيتعرض المولود المسكين للإصابة بالنزلات الشُعَبية . ونقص الوزن . وسائر أنواع التخلف العقلى والبدنى .

* * *

(١) ملحوظة هامة جداً : هذا الفصل أعجب به جداً المرحوم سلامة موسى فنقله عنا بحذافيره فى مجلة آخر ساعة . العدد ١٠٨٨ الصادر فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٥